صور النصر العاجل والآجل في القران:

جاء النصر في القرآن على عدة صور، أشرت إليها سابقا، ولكن أحببت أن أذكرها مجتمعة باختصار، لتكون واضحة أمام الدعاة، ولئلا يتعجلوا وعد الله، فكل شيء عنده بمقدار، فلا يعجّله حرص حريص، ولا يردّه كره كاره، وهو العليم الحكيم.

١ ـ **من الأنبياء من اذاه قومه**. فنصره الله عليهم فأهلكهم وأقام الدين في حياته، كموسى ومحمد، عليهما أفضل الصلاة والسلام.

٢ ـ **ومنهم من ولاه الله الملك** ـ وهذا نصر عظيم ـ كداود وسليمان، عليهما السلام،.

٣ ـ **ومنهم من اذاه قومه**. ولم يؤمنوا به، سوى قليل منهم فنجاه الله ومن معه، وأهلك عدوه، ثم لم يبيّن لنا القرآن ماذا حدث للنبي بعد ذلك، أي: هل آمن به قوم آخرون، أو بقي على من آمن معه ومن آمن من ذرياتهم، كنوح وهود وصالح ولوط.

٤ ـ **ومنهم من قتله قومه**، أو حاولوا قتله، فانتقم الله له بعد حين، كيحيى وعيسى، ومن أرسل لأصحاب القرية ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون**﴾. [سورة يس، الآية: ٢٩]

٥ ـ **ومنهم من يئس من قومه** فتركهم، فعاقبه الله، ثم عفا عنه، ولمّا عاد إليهم، نصره الله نصرًا مؤزّرًا، وظهر الدين وهو يونس(٦٠).

---

(٦٠) هناك خلاف حول سبب تركه لقومه سيأتي بيانه بعد صفحات.

٦ ـ **ومن الدعاة من قتله قومه** فآمن به بعض قومه فقتلوا وحرّقوا، ولكن لا نعلم ماذا حلّ بهؤلاء القتلة، سوى أن الله دعاهم للتوبة، وتوعّدهم إن لم يتوبوا بعذاب جهنّم وعذاب الحريق في الآخرة.

وهؤلاء هم أصحاب الأخدود(٦١)

ولا يعنى هذا أنّهم لم يُنصروا في الدنيا، فقد بيّنت أوجه النصر عند ذكر قصتهم.

إن استحضار هذه الصور في ذهن الداعية عامل مساعد في تخطي الصعاب، وتجاوز العقبات الحسية والمعنوية، وتزيد من إيمان الداعية بربه في تحقق موعوده، **﴿والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾**. [سورة يوسف، الآية: ٢١]

وقفة مع قصة يونس، عليه السلام،.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: **﴿واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادَى وهو مَكْظُومٌ﴾**. [سورة القلم، الآية: ٤٨].

لقد وردت قصة يونس، عليه السلام، في القرآن في عدة مواضع، منها في سورة الأنبياء:

﴿وذا النّون إذ ذهب مُغاضبًا فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في

---

(٦١) انظر كتاب معالم في الطريق ص١٨٠، وفي ظلال القرآن تفسير سورة ٣٨٧٣/٦.

الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٨٧]

وأطول قصة له وردت في الصّافّات:

﴿وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبقَ إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المُدْحضين * فالتقمه الحوت وهو مُليْم * فلولا أنّه كان من المسبّحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾. [سورة الصافات، الآية: ١٣٩]. ووردت في سورة القلم: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مَكْظُومٌ * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين.﴾ [سورة القلم، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠] وقد وردت قصة يونس بروايات متعددة، واختلف المفسرون حول سبب تركه لقومه، ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إذْ ذهب مغاضبًا﴾ على قولين:

١ ـ قيل ذهب مغاضبًا لربه.

٢ ـ قيل ذهب مغاضبًا لقومه.

وقد روى الطبري عن ابن عباس والضحاك أنّه ذهب مغاضبًا لقومه.

وروى عن الشعبي، وسعيد بن أبي الحسن، وسعيد بن جبير أنه ذهب مغاضبًا لربه.

وقد رجّح الإمام الطبري بعد ذكر عدة روايات، أنه ذهب مغاضبًا لربه، فقال:

وهذا القول ـ أعني قول من قال إنه ذهب مغاضبًا لربه ـ أشبه بتأويل الآية، وذلك لدلالة قوله ﴿**فظن أن لن نقدر عليه**﴾ على ذلك، على أن الذين وجّهوا تأويل ذلك إلى أنّه ذهب مغاضبًا لقومه، إنما زعموا أنّهم فعلوا ذلك استنكارًا منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه، واستعظامًا له، وهم بقيلهم أنه ذهب مغاضبًا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا[٦٢].

والذي يعنينا ـ هنا ـ أن يونس، عليه السلام، سواء كان قد ذهب مغاضبًا لربه أو لقومه، **فإنه قد استعجل الأمر**، ولم يصبر كما قال ـ تعالى ـ لمحمد، ﷺ، ﴿**فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت**﴾. فإنه لم يصبر، وسواء كان، عليه السلام، استعجل إيمانهم أو استعجل العذاب لهم[٦٣]، لأنهم قد كذبوه، والإيمان انتصار، وتعذيب المكذبين انتصار للداعية، فإنه قد استعجل الانتصار، عليه السلام، **ولذلك عاقبه الله**، بأن ابتلعه الحوت، وهو مليم، أي: مذنب.

ولكن الله عفا عنه وغفر له بعد أن نادى في الظلمات واعترف

---

(٦٢) انظر تفصيل ذلك في تفسير الطبري ١٧/ ٧٦.

(٦٣) انظر تفسير الطبري ١٧/ ٧٦ ومابعدها.

بذنبه، عليه السلام، بل اجتباه ربه فجعله من الصالحين.

فلما رجع إلى قومه بأمر من الله، آمنوا كلهم، ﴿**وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين**﴾. [سورة الصافات، الآيتان: ١٤٧، ١٤٨]. وهذا من أعظم الانتصار.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾. [سورة القلم، الآية ٤٨]. يقول ـ تعالى ـ ذكره لنبيه محمد، ﷺ، فاصبر يامحمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين، بما أتيتهم به من القرآن وهذا الدين، وامضِ لما أمرك به ربك، ولا يثنينّك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إيّاك وأذاهم لك.

﴿**ولا تكن كصاحب الحوت**﴾ قال قتادة: لا تعجل كما عجل، ولا تغضب كما غضب، «وهو مذموم» أي: مذنب أو مليم.

قال الطبري: أي لا تكن كصاحب الحوت فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما حبس يونس في بطن الحوت(٦٤).

إنه أمر عظيم حريّ بالدعاة أن يفقهوه.

---

(٦٤) انظر تفسير الطبري ٢٩/٤٤.